

الطلاق من خلال عيون الأطفال

أنا وأنت على الطريق

الطلاق من خلال عيون الأطفال، كان هذا عنوان تقرير لفت نظري ورد في إحدى الصحف العربية. فتعالى يا سيدتي معى لنستمع إلى هذا التقرير الهام في حياة كل عائلة.

يبقى الطلاق تجربة مؤلمة ليس من السهل محو بصمتها وتجاوزها مهما كانت ظروفه ودوافعه. تجربة يطلع منها جميع الأطراف بالخسارة. وإذا كان لكل من الزوجين أسبابه الخاصة في اللجوء إلى الطلاق فإن الأطفال يفرض عليهم الخضوع للأمر وتجرح مرارته دون أن يكون لهم فيه لا ناقة ولا جمل.

وتختلف ردود الفعل عند الأطفال من طفل إلى آخر. فالبعض منهم يتأقلم مع مرور الزمن بينما يعاني آخرون طويلاً من مشاكل واضطرابات كذبول مباشرة أو غير مباشرة لطلاق والديهما. فمثلاً روع أحد الأطفال أمه وهو لم يتعدّ الثلاث سنوات عندما انفصلت عن أبيه. إذ أخذ يشتكي من أنه يرى أشباحا ويسمع أصواتا غريبة. إلا أن أكثر ما ألم الأم وأثر فيها هو تساؤلها البريء: لماذا بابا ليس هنا ليتردهم؟ دون أن يترافق ذلك مع أية إشارة صريحة إلى موضوع الانفصال بحد ذاته. مما أربك الأم وجعلها عاجزة عن التصرف حيال شكوى مبطنة وغير مباشرة بخصوص طلاقها من الأب.

ويتابع التقرير الذي أنقله إليك سيدتي من الصحيفة العربية ليقول: وحين طلب خبراء نفسيون من مجموعة من الأطفال بين سن الخامسة والخامسة عشرة كتابة عبارة واحدة يعبرون فيها عن التساؤل أو التعليق الذي يلخص بالنسبة لهم تجربة طلاق والديهم كانت أكثر العبارات شيوعاً هي التالية: لا أحد يمكن أن يحمو هذا الموضوع من رأسي. لماذا لم تعد الماما أو البابا تقيم أو يقيم بيننا؟ لا أفهم لماذا لم أعد قادراً على رؤية بابا سوى في العطلة؟ لا أذكر أبداً أنني رأيت والدي معاً. لطالما شعرت أنني مسؤول عن انفصالهما مما يجعلني أبكي وأبكي قبل النوم.

أما آخر فقال: أعتقد أن والدي يكرهان بعضهما. لكن رغم طلاقهما فكل منهما شديد الحرص على الاهتمام بي والوقوف إلى جانبي عندما أحتاجه. وهذا ما يزيد محبتي لهما.

إذن يُستدل من هذه العبارات كما يقول التقرير بأن الأطفال وبمرور الزمن يمكن أن يتجاوزوا محنة طلاق والديهم في حال عرف الوالدان كيف يتعاملان مع الطفل. في حين أنه من المستحيل عليه أن ينسى غياب أحد الطرفين من حياته أو إهماله له. ولعل ما يعزي الأزواج والزوجات الذين اضطروا إلى اللجوء إلى الطلاق لإنهاء عشرة لم تعد محتملة إن الخبراء يجمعون على أن الشجارات الزوجية والأجواء المشحونة وتبادل الشتائم والاتهامات في النهاية هي أشد تأثيراً وتدميراً لنفسية الأطفال من تجربة

الطلاق بحد ذاته، وأن طفلاً ينشأ في كنف أحد والديه فقط ولكن في جو من السلام والهدوء يكبر أكثر ارتياحاً بكثير منه حين يفرض عليه العيش في جو من الكراهية الزوجية التي تحول واحة البيت المفترضة إلى ساحة للمعركة.

والآن ما هو تعليقك سيدتي المستمعة على هذا التقرير الذي شاركته به للتو؟ الطلاق من خلال عيون الأطفال؟ فأن يعيش الأطفال في كنف عائلة يسودها الخصام والمشاجرات مشكلة. أو أن يعيشوا متأرجحين بين بيت الأب وبيت الأم مشكلة أكبر. لأن الاستقرار والأمان الداخليين يبقيان مفقودين حتى وإن عاش الطفل بسلام وأمان في كنف أحد الوالدين. ترى هل يفكر الوالدان وقبل الإقدام على الانفصال ومن ثم الطلاق، بأولادهما؟

الأولاد الذين هم عطية من الله تعالى كيف لا نقدر هذه العطية؟ هم كنز لا يمكن أن يعوض حين نسيء إليهم بهذا الشكل.. أتعلمين سيدتي المستمعة وأنت سيدي المستمع بأن الله جعلنا وكلاء عليهم حين منحنا إياهم. فهل نحن وكلاء صالحون؟ أم طالحون لا يهمننا إلا أنفسنا وأنفسنا فقط؟

هل ترانا نعيد حساباتنا قبل أن نقدم على هذه الخطوة المدمرة في حياتنا وحياتنا عائلتنا؟ هل ترانا نعرف ماذا يقول الملك والنبى الحكيم سليمان في هذا الشأن؟ إن لم يبين الرب البيت فباطلاً يتعب البنائون. إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس.

ما معنى هذا الكلام الذي كتبه سليمان بوحى من روح الله القدوس؟ معناه يا سيدتي أنه إن لم يكن الله هو الأساس في بناء العائلة فمهما حاول الإنسان أن يبقيها معاً فلا بد أن يفشل. لأن الإنسان بقوته وبالاعتماد على نفسه لا يقدر أن يفعل شيئاً. لكن إن الرجل المتقي الرب هو يبارك من قبل الرب. اسمعي أيضاً ماذا يقول في شأن العائلة ككل: هوذا البنون ميراث من عند الرب. ثمرة البطن أجرة. كسهم بيد جبار هكذا أبناء الشيبية. طوبى للذي ملأ جعبته منهم.

إذن فالأولاد يا سيدتي ويا سيدي الرجل هم بركة من الرب. وهم كالسهم بيد الجبار. أي كسلاح قوي في أيدينا. لأنهم نخيرتنا وكنزنا. فهل نحافظ عليهم؟ ونوفر لهم أجواء صحية وصحية في البيت الزوجي؟ ويقول أيضاً: طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك في طريقه. امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك. هكذا يبارك الرجل المتقي الرب.

ترى، هل ينطبق هذا الوصف عليك يا سيدي الرجل؟ فإذا كان الله فعلاً هو باني بيتكما يا سيدتي المستمعة فلا بد أن يحفظه. تستطيعان أن تفعل ذلك إذا ما أقرتِما بضعفكما وعجزكما وطلبتما منه تعالى أن يستلم حياتكما بالكلية. هل تتقان بمواعيده الأمانة

كما جاءت في الكتاب المقدس؟ وهل تؤمنان أن الفادي والمخلص يسوع المسيح، يستطيع أن يمنحكما السلام الحقيقي مع الله؟ والسلام الحقيقي في بيتكما الزوجي وهكذا تربحان أولادكما فيبقيان في كنفكما وتحت سقف بيتكما؟ فقط تعاليا بالإيمان إليه واطلبا منه العون والمساعدة.